بيروت

تاريخها وآثارها

للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

البحث الثالث

في اسم بيروت

اسم بيروت اسمٌ سامي فينيقي كبقية اسماء المدن الواقعة في سواحل الشام بين اللاذقية وصور . الا انَّ العلماء لم يتفقوا على معنى الكلمة فذهبوا الى آراء شتى . فمنهم من فسرها بمعنى بَيت البئرية (בארות) اي الابعق والحمد وزعموا انها «بَعل بَريت» المذكورة في سفر القضاة (٩ : ٤) والكلام هناك على مدينة في السامرة

وقال غيرهم انها «بَرُوت» (ברות) في العبرانية ايضاً بمعنى القُوت والطعام . وظنَّ قومٌ انها المدينة بَرُوتا (ברותה) المذكورة في نبوَّة حزقيال (٤٧ : ١٦) والصواب انَّ موقع هذه كان في شمالي فلسطين

واصحُّ من هذين الرأيين قول من اشتقَّ اسم بيروت من الارامية بَروتا (ברותא) ومعناها السرو او الصنوبر لوجود اشجارها منذ القدم في جوار بيروت . ويوافق هذا الاسم في الاشورية «بُراشو» وفي العبرانية (ברוש) قيل انَّ بيروت سُمِّيت بهذا الاسم تذكاراً للإلهة الفينيقية عشتروت معبودة بيروت التي كان السرو رمزاً بها . وهذا الرأي قديم اورده فيلون الجبيلي عن اول مؤرخ لفينيقية سَنْكُنْ يَتُن البيروتي السابق لعهد المسيح (Historicorum Græc. Fragmenta, II, ed. Didot, p. 136) . وهو يدعوها (Βηρούθη) . وتبعهما في هذا الرأي بعض المحدثين من جملتهم الاب بطرس

مرتين اليسوعي في تاريخه اللبناني الذي طُبع منهُ بعض الفصول (اطلب تاريخ لبنان ص٣٨٣) . وعشتروت هذه هي إلهة العشق والجمال التي عرفها العرب باسم الزُّهَرة او اللات والرومان باسم ڤينوس (Vénus) وسيأتي عنها الكلام في فصل آخر . ولعلَّهم اشاروا بهذا الاسم الى حسن موقع بيروت وجمالها

وقد صدَّق الكاتب اليوناني القديم هستيسون الميلطي على انَّ بيروت دُعيت بهذا الاسم اشارةً الى عشتروت لكنَّهُ يشتقّ اسمها من اصل آخر من «بيروت» او «ابيروت» (אבירות) بمعنى القوَّة و«أبير» بالعبرانية القوي الشجاع والحريز المتين . وربَّما اطلقوا هذا الاسم على الثَّور (المزمور ٢١: ١٣) الذي كان ايضاً من صفات عشتروت يصوّرونها وعلى رأسها شبه الثور

وليس بين آراء القدماء رأي أَرجح في تفسير اسم بيروت من اشتقاقه من البئر وهو يُجمع في العبرانيَّة على «بئروت» (בארות) اي الآبار وذلك لكثرة الآبار التي حفرها الاقدمون في احيائها وضواحيها تُرى الى يومنا آثارها الحسنة تحت المدينة . وكانت مياهها عذبةً يشرب منها حاضراً اهل بيروت قريباً من دير راهبات المحبَّة . ولذلك ارتأى اسطفان البوزنطيّ من كتبة القرن الخامس للمسيح انَّها دُعيت بيروت لعذوبة مائها

وقد ثبت لبيروت اسمُها هذا مع تقلُّب الدول فرواهُ القدماء على صور مختلفة في اليونانيَّة واللاتينيَّة هكذا Berito, Beritho, Biritos, Birthon, Piriton وكثيراً ما يحتزل اسمها بعضُ اليونان كنونُس وتاوفان وبروكوبيوس فيدعونها بِرُوبا (Βερόη) كما يدعون به مدينة حلب . بل زعم المؤرخ نونُس (Dionysiaques, XLD) ان هذا الاسم سبق بقيَّة اسمائها

وشاع لبيروت بين السريان خصوصاً اسم دِرْبي (ڒڒڐڝڵ او ڒڒڐڝڡ) كما يرويه بَرْبهلول وبَرْعلي في معجمها . ودِربي احدى مدن اليونان . وقد دعاها اوغسطوس قيصر باسم ابنته يوليا لما خوَّلها امتيازات المستعمرات Colonia Julia Augusta Felix (Berytus)

وفي عهد الصليبيّين جاء في تاريخ غليلموس الصوريّ (ك ١١ ف١٣ ص٤٧١) انَّ بيروت دُعيت قديماً جِرسة (Gerse) او جريس نسبةً الى بانيها من اولاد كنعان بن

حام ولا نعلم من اين اخذ هذه الرواية التي نقلها ايضاً ادريخوميوس (Adrichomius, *Miscellanea*)

البحث الرابع

قِدَم بيروت

لو أَعَرنا سمعاً الى ما جاء في خرافات الاقدمين من الفينيقيين لقُلنا انَّ اصل بيروت يتَّصل بعهد الآلهة ويرتقي الى اوائل الخليقة فانَّ سَنكُن يَتُن اقدم مؤرخي فينيقية قد روى عنها ما شاع في زمانهِ اي القرن الرابع قبل المسيح فقال (في الفقرة الثانية من تاريخهِ العدد ٨) : انَّ الاله إيل او عِلْيون وهو اوَّل ملوك جُبَيل اتَّخذ له زوجةً الإلهةَ المدعوة بيروت ثمَّ بنى جنوبيَّ جبيل مدينةً دَعَتها زوجتُهُ باسمها بيروت. وقيل بل بيروت اسم ابنتها فدَعَوا المدينة بها

وقال نونُس الشاعر اليونانيّ في كتابهِ عن الإله ديونيسوس او بخُوس (١ الذي صنَّفهُ في القرن الرابع للمسيح : « انَّ بيروت اوَّل مدينةٍ بناها الاله إيل بنفسهِ وهي وحدها أُنشئت قبل مدن الارض وسبقت الاله فانتون (اي الشمس) الذي يستعير القمر من ضوئهِ »

ثمَّ اردف سَنكن يَتن قائلاً : « انَّ ايل وهب بيروت لاله البحر يوصَيدون (Ποσειδῶν) الذي يدعوهُ الرومان نبتون (Neptune) وللجبابرة المعروفين بالكبيري (Cabires) الذين اخترعوا فنَّ الملاحة »

فبهذه المبالغات يُستدَلّ على امر واحد لا مراء فيه وهو انَّ بيروت من اقدم مدن العالم وان لم يمكنّا ان نعرّف بالتدقيق زمن بنائها. ولو صحَّ قول غليلموس الصوري بأنَّ بانيها جريس او جرجيس او جرجاش الخامس من بني كنعان المنتسب اليهِ الجرجاشيون في سفر التكوين (١٠ : ١٦) لَثبت انَّها بُنيت بعد الطوفان بزمن قليل اعني في الالف الرابع قبل المسيح

(١ Nonnus: *Dionysiaques* XLI, 67 et 91

ومهما كان من مزاعم القدماء وآرائهم المتناقضة نستطيع القول بلا شكّ انّ اصول بيروت عريقة في القدم كاد نشوؤها يخفى عن ابصار اقدم الكتبة وأدقهم بحثاً. ولا بأس من القول بانّ البشر الاوّلين سكنوها قبل تصيرهم الامصار وإنشائهم المدن في عهد العمران البشري اي في الطور المعروف بالظرّان السابق لطور المعادن. والدليل عليه مقرّر راهن يستند الى الآثار التي وقف عليها ارباب العاديّات ومن جملتهم حضرة الاب زمّوفن وبعض اساتذة كليّتنا والمكتب الطبي الفرنساوي. وقد جمعوا قسماً كبيراً منها في متحفيها ومثلهما في متحف الجامعة الاميركانيّة ومتحف بيروت العمومي الحديث. وهذه الآثار عبارة عن قطع من الصوّان وُجدت في طرفي بيروت قريباً من نهرها ماغوراس (Magoras) وعند رأسها الرملي الممتدّ جنوب المدينة ميلاً الى غربها. وهذه الحجارة الصوّانيّة مختلفة الهيأة منها ما هو اقدم عهداً وهو الصوّان المنحوت (silex taillés) وغيرها احدث زمناً وهو الظرّان المصقول (silex polis). وبعض هذه المصنوعات هي من عظام الحيوان. وقد اتّخذ القدماء من كليها ادوات عديدة على اشكال متباينة كالسهام والسُّنن والفؤوس والمناشير والمُدى يتوسّلون بها للدفاع عن نفوسهم ولصيد الحيوان ومقاتلة الاعداء ولكافّة امور معاشهم وبَيْتهم (١

وكانت عيشة اولئك القوم في همجيّتهم الاولى فطريّةً ساذجة فكانوا يأوون الى الكهوف والمغاور في ايّام الشتاء. وقد وُجدت بقايا من آثار طعامهم في مغارة انطلياس بينها عظام حيوانات مفقودة في عهدنا كانوا يصطادونها. ويعيشون في بقيّة فصول السنة تحت القبّة الزرقاء او ينصبون لهم خياماً من اغصان الشجر او يتّقون حرارة الشمس بجلود الحيوان. فداموا على ذلك زمناً مديداً حتى عنّ لهم ان يبتنوا عوضاً عنها المساكن البسيطة من الحجار او اللبن

ويؤخذ من اخبار ملوك الكلدان الاوّلين المنقوشة في بلاد بابل بالخطّ المساري ان ملوك تلك الانحاء غزوا غير مرّة القبائل الساكنة في سواحل الشام في الالف الرابع قبل المسيح فبسط ملكهم نيرانه عليها سيطرتهم ردحاً من الزمان. ولما ضعف سلطان الاشوريين وانتقض حبلهم انتهز الاموريّون المالكون في ما وراء

(١) اطلب في المشرق ١ [١٨٩٨] : ٩٧ و٢٦٣) مقالتين للاب زمّوفن في وصف طوريّ الظرّان وعطفاتهما في بيروت وسواحل الشام

بجيرة لوط فتقرّبوا الى جهات بحر الشام وتملّكوا على سواحله . والرأي الشائع اليوم انّ منهم كان الملك حَمُورابي وسلالتُهُ فسار من بلاد الشام الى بلاد بابل وغلب عليها ملوكها وقهر ما كان في تلك الجهات من القبائل الآراميّة والكنعانيّة التي كانت تسكن السهول المجاورة لخليج العجم فهاجرت هذه العشائر الى جهات الغرب وسكنت مدّةً في براري الجزيرة يزاحم بعضها بعضاً . ولما أيئست من احوال الزمان ما يساعدها لاضطراب امر ملوك بابل تقرّبت الى سوريّة الشاليّة وسكنت فيها اعواماً حتى أدّى بها المسير الى سواحل البحر المتوسّط فامتزجت باهلها الاموريين ثمّ غلبت عليهم وكان ذلك في اواخر الالف الثالث قبل المسيح

واستوطنت هذه القبائل خصوصاً القسم المعروف بفينيقية وهو الساحل البحريّ الممتدّ بين اللاذقيّة وصور وعُرفوا بالفونيّين (Pouaniti, Pœni, Pæni) وهو الاسم الذي كان يطلقهُ المصريّون على سكان تلك الانحاء ثمّ تصرّف اليونان بالاسم فدعوا البلاد فينيقية واهلها فينيقيّين مشتقّين الاسم من لفظة يونانيّة معناها النخل (Φοινιξ) لانهم وجدوا تلك الجهات كثيرة النخل زاهية باشجارها

ثمّ نمت تلك القبائل وتفرّقت واتخذت كل منها مدينة فقويت شوكتها واصبحت على شبه مملكة صغيرة مستقلّة بالحكم والتدبير عن سواها

واشتهر من هذه الممالك مملكة أرواد ومملكة جبيل ومملكة بيروت ومملكة صيدون ومملكة صور . والمرجّح انّ مملكة جبيل تقدّمت عليها وتفرّعت منها . وكانت بيروت اوّل مستعمرات الجبيليّين جعلوها مملكةً مستقلّة متاخمة لمملكتهم فتكون سبقت مملكة صيدون . وكان طول مملكة بيروت نحو ٣٦ كيلومترًا تمتدّ بين نهرَي الكلب والدامور . كأنّهم جعلوا الكلب حارساً لتخمهم الشمالي فدعوا به النهر . امّا عرضها فكان لا يتجاوز عشرة كيلومترات من البحر الى سفح لبنان

ومع صغر هذه الممالك وضيق ساحتها قد نالت شأناً عظيماً لشهرة اهلها بالتجارة فكانوا يستجلبون برًّا مرافق البلاد الداخليّة الى البحر بواسطة قوافلهم العديدة فينقلونها على سفنهم الى مصر وجهات اليونان وبلاد الغرب وسواحل اوربّة كما تدلّ عليه آثارهم هناك ثمّ يأتون بمحصولات تلك البلاد الى فينيقية فينقلونها الى

اقاصي العراق والعجم والهند .. وقد وجدوا في حفريّات جُبيل وسواحل فينيقية كثيرًا من مصنوعات المصريين وقبائل اليونان القديمة ومن الآثار الاشوريّة ما يُثبت كون فينيقية كانت بلادًا وسطًا بين اقاصي الشرق والغرب

على انّ تعدُّد هذه الممالك الساحليَّة مع صغرها كثيرًا ما سبب المنازعات والحروب بين اهلها. فانَّ التاريخ القديم يذكر ان مملكة صيدا حاولت مرارًا قهر سلطة اهل بيروت واستعبادهم فردَّهم البيروتيون خاسرين

وكان صغر تلك الممالك يعرّضها لخطر اعظم من جانب الدول الكبرى. فان ملوك اشور وبابل طمحوا اليها واغاروا عليها مرارًا وربّما ضربوا على اهلها الجزية يؤدونها لهم بما يطلبونهُ من الأرز وغيره من الاخشاب اللبنانيَّة. وقد ورد اسم لبنان لاوّل مرَّة في كتاباتهم المسماريَّة على صورة لبناتو اي الجبل الابيض اذ رأوه معمَّماً بالثلوج الغرّاء التي تكسوهُ حليةً من البياض اليقق

وكذلك فراعنة مصر منذ سلالاتهم الاولى في اواسط الالف الثالث عرفوا كنوز لبنان المعدنيَّة والنباتيَّة واكرموا آلهة الفينيقيّين كالبعل وعشترت واقاموا في جبيل هيكلًا لمعبوداتهم الوطنيَّة وجد الاثريُّون وخصوصاً السير بيار مونته بقاياهُ الفخيمة. وكانوا يرسلون لهُ كل سنة التقادم والنذور والآنية الثمينة والأطاف المختلفة التي اكتشفوا منها كثيرًا بل ادخلوا في جملة معبودات المصريّين عبادة آلهة فينيقية. فكانوا بهذه المعاملات السياسيَّة والاقتصاديَّة يُعِدُّون دولتهم لفتح تلك البلاد كما حدث بعد ذلك في عهد السلالة الثامنة عشرة

وقد ورد اسم بيروت لاوّل مرَّةٍ في اثر هيروغليفيّ مصون في المتحف البريطانيّ في لندن يرقى عهدهُ الى السلالة الثانية عشرة وهو عبارة عن كتابة حرَّرها احد وجوه المصريّين يصف فيها رحلتهُ الى سوريَّة ويذكر جملة ما زار من المدن مبتدئاً بالمدن الداخليَّة الى حلبون يريد بها حلب الشهباء. ثمَّ يذكر اخصَّ المدن الساحليَّة: جُبيل ثمَّ بيروت ويدعوها بيروتا ثم صيدون ثم صَرفَت

وقد تكرَّر بعد ذلك اسم بيروت في جملة المدن التي فتحها الفراعنة في القرن السادس عشر قبل المسيح لا بل كان المصريون يطلقون على معدن الحديد اسم بضاعة

بيروت « با ان برت » كما اثبت ذلك حضرة الاب لامنس في كتابهِ عن آثار لبنان (٢٢٢:٢)

فيلوح من كلّ ما سبق انّ بيروت قد حلّت منذ قديم الزمن محلًّا ممتازًا وان اصولها راقية الى الازمنة المظلمة حيث التاريخ كان مختلطاً بخرافات البشر

وان اعتبرتَ ضواحيها الدلخلة في مملكتها وجدت ما يؤيد امر قِدَمها . ولاسيما ذلك النُّصب الذي حفرهُ رعمسيس الثاني المعروف عند اليونان باسم سيسوستريس دلالةً على حلولهِ في سواحل فينيقية وهو اثر جليل في الصخور المشرفة على نهر الكلب حيث تُرى صورتهُ قائمًا بإزاء إلهِ « راع » ساجدًا لهُ وتاريخ الاثر في السنة الرابعة لملكهِ

(لها بقية)

خطر جسيم

او

اللغة العاميَّة

بقلم حضرة الاب انطون صالحاني اليسوعي

فاجأتنا مقالة مستغرَبة ادهشتنا تنبّأ فيها كاتبها بخطر جسيم يتهدّد اللغة العربية الفصيحة . بل قُل العربية عامّةً . لان اللغة الفصيحة ليست اللغة التي يحشوها الكاتب الفاظاً وحشية غير مأنوسة لا يُدرك معناها سوى مَن حفظ الكلام العويص . بل هي اللغة التي تتضمّن الفاظاً تفهمها العامّة وتستعملها سليمةً من كلّ شائبة خطإٍ ومن الاغلاط المخالفة للقواعد العربية في عبارات واضحة وتراكيب غير معقّدة تؤدّي المعنى المُراد

والذي يتهدّدنا بهذا الخطر الغير المنتظر اي اندثار اللغة الفصيحة وتغلُّب العاميَّة